

انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام وقيمه التربوية
في القرآن الكريم

إعداد

- د. عودة عبد عبد الله *
د. رسمية عبد القادر حنون **
أ. إبراهيم عبد الرحيم داود ***

* أستاذ مشارك - قسم أصول الدين - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين
** أستاذ مشارك - قسم علم النفس - جامعة النجاح الوطنية - فلسطين
*** محاضر بكلية الدعوة الإسلامية - قلقيلية - فلسطين

انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام وقيمه التربوية في القرآن الكريم

ملخص البحث

يقوم هذا البحث على دراسة الجانب النفسي عند الأنبياء عليهم السلام، من خلال النظر في انفعال الحزن وانعكاساته على الأقوال والأفعال والسلوك، وتحليل هذا الجانب، والإفادة منه في مسيرة الدعوة المعاصرة. وقد عرض القرآن الكريم بعض المواقف التي حصل فيها الحزن عند الأنبياء عليهم السلام، وبيّن أسبابه والآثار المترتبة عليه. وتبين أن الحزن الذي حصل لبعض الأنبياء عليهم السلام، إمّا أنه كان يمثل حالة عاطفية، باعتبار الأنبياء بشراً يعترضهم ما يعترض البشر في هذا الجانب، وإمّا أنه كان حزناً على واقع الأمة، وموقف الأقوام من الدعوة إلى دين الله تعالى. وفي الحالتين لمس الباحث وجود جوانب تربوية مهمة، يمكن الاستفادة منها في واقع الحياة الاجتماعية.

الكلمات الدالة: القرآن، التفسير الموضوعي، علم النفس، الحزن

PROPHETS' SADNESS AND ITS EDUCATIONAL EFFECTS IN THE HOLY QURAN

ABSTRACT

This research is set out to study the prophets' (peace be upon them) psychological aspects through the phenomenon of sadness and its implications on prophets' actions, deeds and behaviors; the study intent also to analyze and benefit from this aspect in the process of contemporary Islamic Dawah (call). The holy Quran has introduced some situations in which the sadness of the prophets took place, and demonstrated its causes and implications. It is found that the sadness feelings that has happened to some of the prophets (peace be upon them) either represented the emotional state of the prophets, bearing in mind that the prophets are human beings, and these feelings are being instilled in every human being. Or represented the saddened feeling elevated by the reality of the condition of Islamic Ummah and people toward the Islamic Dawah. In both cases, the researcher did find some important educational aspects and effects that we can benefit from them in social life.

Keywords: (Quran, Subjective interpretation, Psychology, sadness)

انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام وقيمه التربوية في القرآن الكريم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ...

فقد خلق الله تعالى الإنسان وأودع فيه عجائب قدرته وأسرار خلقته، وأوجد فيه المشاعر والأحاسيس والغرائز والانفعالات، لتكون همزة الوصل والتفاعل بينه وبين الآخرين، فيتأثر أو يؤثر في الأحداث والوقائع، والمناسبات والمشاهد، فيضحك أو يبكي، ويفرح أو يحزن، ويرضى أو يغضب، ويأمن أو يخاف، ويتفاعل أو ييأس.

ولمّا كان الأنبياء عليهم السلام هم خلاصة الجنس البشري، وأنموذج العنصر الإنساني، فقد تفاعلوا مع الأحداث والوقائع التي واجهوها أو واجهتهم بهذه الانفعالات والأحاسيس. ولقد قصّ الله تعالى علينا في كتابه الكريم الكثير من الأحداث والصور والمشاهد التي واجهت الأنبياء عليهم السلام فتفاعلوا معها، وانعكست على سلوكهم وتصرفاتهم، أو على وجوههم وملامحهم.

وهذا البحث هو عبارة عن تتبع لهذه المشاهد في القرآن الكريم والتي برز فيها انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام، وانعكاس هذا الانفعال عليهم، سواء على أقوالهم وأفعالهم، أو على سلوكهم وتصرفاتهم، أو حتى على قلوبهم أو ملامح وجوههم. ثم دراسة شخصية هذا النبي أو ذاك على ضوء هذا الانفعال، وتحليل موقفه تجاه هذا الانفعال، ومن ثمّ استخلاص العبر والدروس والقيم التربوية المستفادة.

ويظهر من خلال استقراء النصوص القرآنية أن القرآن الكريم تحدث عن انفعال الحزن عند سيدنا يعقوب وسيدنا محمد عليهما السلام، ومن هنا فإن هذا البحث سيقصر على دراسة هذا الانفعال عند هذين النبيين الكريمين.

ويأتي هذا البحث بهدف التعرف على الكيفية التي من خلالها تحدث القرآن الكريم عن انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام، وما يتضمنه ذلك من لفتات وقيم تربوية يمكن الاستفادة منها في واقع الأمة، وفي حياة الدعاة والمربين.

ويحاول هذا البحث الإجابة على التساؤلات الآتية:

- 1- ما مدى اهتمام القرآن الكريم بموضوع الانفعالات النفسية عند الأنبياء عليهم السلام ؟
 - 2- كيف تطرق القرآن الكريم لموضوع الحزن كإنفعال نفسي عند الأنبياء عليهم السلام ؟
 - 3- ما القيم التربوية التي يمكن استخلاصها من مواقف الأنبياء عليهم السلام في حال الحزن ؟
- وقد اقتضت طبيعة هذا الموضوع أن يكون في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو الآتي:
- المبحث الأول: مفهوم الحزن ودلالاته النفسية
 - المبحث الثاني: مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام
 - المبحث الثالث: القيم التربوية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

المبحث الأول مفهوم الحزن ودلالاته النفسية

المطلب الأول: الحزن في اللغة والاصطلاح

اتفقت معاجم اللغة على أن الحزن هو: نقيض الفرح، وخلاف السرور¹. ويأتي بمعنى: الهم²، وذلك أن الحزن غالباً ما يقترن بالهم والغم. كما يأتي بمعنى: خشونة الشيء. قال ابن فارس: "الحاء والزاي والنون، أصل واحد، وهو خشونة الشيء وشدّة فيه"³. وهذه الخشونة والشدّة تحصل في النفس بسبب الهم والغم. قال تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ [فاطر/34]، أي الغم⁴.

أما اصطلاحاً: فقد تركّزت تعريفات العلماء للحزن على الجانب النفسي منه، وليس على آثاره الظاهرة فقط. قال محمد رشيد رضا: "الحزن: هو ضرب من آلام النفس يجده الإنسان عند فوت ما يحب"⁵. وعرفه النسفي بأنه: "ألم القلب بفراق المحبوب"⁶. وعرفه رشيد رضا بتعريف جامع فقال: "الحزن: ألم يلّم بالنفس عند فقد محبوب أو امتناع مرغوب أو حدوث مكروه"⁷.

المطلب الثاني: الحزن عند علماء النفس

عرّف الدكتور محمد عبد العليم الحزن بأنه: "مشاعر عاطفية لا تمس مقدرات الإنسان الأخرى، وأنه رد فعل لظرف سلبي"⁸.

وأحياناً يطلق علماء النفس الاكتئاب على الحزن وقد يلتقي به في مرحلة متقدمة من الحزن. الاكتئاب من الآثار المترتبة على الحزن وقد يلتقي به في مرحلة متقدمة من الحزن.

وقد فرّق الدكتور محمد عبد العليم بين الاكتئاب وبين الحزن بأن الاكتئاب: "جملة من الأعراض التي تفقد الإنسان فعاليته، وتؤثر سلباً على عواطفه وتفكيره وتواصله، وحتى قيمته كإنسان"¹⁰.

وحيث إن الحزن انفعال اعتيادي في حياة الفرد بشكل عام، بل انفعال واقعي أيضاً متعدد الأسباب، رأينا أن علماء النفس لم يتعمقوا في تعريفه أو توصيفه كما فعلوا مثلاً مع انفعال الخوف أو الغضب أو القلق.

ومن أهم مسببات الحزن¹¹:

- 1- القلق الشديد من المستقبل .
- 2- تعرض الفرد أو أحد أفراد الأسرة أو الأصدقاء إلى حادث أو وفاة أو إصابة بمرض .
- 3- الهاجس النفسي : وهو الحزن بدون سبب .
- 4- العقل الباطني . وذلك من خلال مشاهدة الفرد أو سماعه لمشهد أو لخبر محزن ، وهذا حزن مؤقت سرعان ما يزول .

المطلب الثالث: أقسام الحزن

بالنظر إلى ما يخالط الحزن أو ينتج عنه يمكن تقسيمه إلى قسمين هما:

الأول: حزن مباح. وهو الحزن الذي فطر الله تعالى الخلق عليه، وجعله من الغرائز التي لا تتفك عنهم. وقد ينتج عنه "دمع العين ورقّة القلب من غير سخط لأمر الله"¹². وهو ما عبر عنه ابن تيمية بقوله: "لا يَأْتُمُّ صاحبه إذا لم يقترن بحزنه محرم؛ كما يحزن على المصائب"¹³.

وقد أثبتته الله تعالى لنبيه محمد ﷺ في غير ما موضع من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ} [الأنعام/33]. ولنبيه يعقوب عليه السلام عندما فقد ابنه يوسف عليه السلام، في قوله تعالى: {وَقَالَ يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف/84]. كما ثبت في البخاري أن النبي ﷺ حزن وبكى حين مات ابنه إبراهيم وقال: "إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون"¹⁴.

الثاني: حزن مذموم أو حرام. هو الحزن الذي لا صبر لدى صاحبه، ولا رضى بقضاء الله وقدره. ويخالطه في الغالب أو ينتج عنه ما حذر منه الشارع الحكيم من لطم الخدود وشقّ الجيوب وغيرها من السلوكيات التي تنم عن عدم الرضا بقضاء الله وقدره.

فمن الحزن المذموم ما أدى إلى الهوان والعجز، كما يدل عليه قوله تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [ال عمران/139]. يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "ومعنى النهي عن الوهن والحزن - وهما أمران نفسيان - هو النهي عن الاسترسال في الألم مما أصابهم، والمغزى: لا تسترسلوا في الهم والألم مما كان يوم أحد، فإن ذلك يؤدي إلى ضعفكم عن القتال، فليس النهي منصبا على أصل الوهن والحزن، ولكنه منصبا على سببهما الذي هو في قدرة المؤمن وهو الاسترسال في الوهن والحزن"¹⁵.

المبحث الثاني

مشاهد انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند بعض الأنبياء عليهم السلام، وبيّن أسباب هذا الحزن، فمن هذه الأسباب ما كان لفقد حبيب، ومنه ما كان لغياب الإسلام عن واقع الأمة، وهذا الحزن لا يظهر إلا من أصحاب الكمالات. وفي هذا المبحث سأتكلم عن انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام وعند نبينا محمد ﷺ.

المطلب الأول: مشاهد الحزن عند يعقوب عليه السلام

يعقوب عليه السلام هو النبي الوحيد الذي بشرت الملائكة به جده قبل ولادة أبيه. قال تعالى: {فَبَشِّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ} [هود/71]، وسمّاه الله إسرائيل¹⁶، ومعناه عبد الله¹⁷. وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في ستة عشر موضعاً¹⁸. ومن أبرز ملامح شخصيته:

1- كان عليه السلام قوي الثقة بالله تعالى، مطمئناً حق الاطمئنان إلى موعود ربه، متفائلاً دائماً بالله تعالى. لنرى يعقوب عليه السلام وهو يخاطب أولاده حين أخبروه أن ابنه سرق، {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف/83] ثم يقول بكل ثقة واطمئنان: {يَا بَنِيَّ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَسَّسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَبْسُتُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ} [يوسف/87]

2- كان ﷺ صابراً على البلاء ، وخاصة على بلاء فقدان ولده ، فحين وصله خبر أكل الذئب يوسف ، وهو موقن أنها مكيدة من أولاده قال: {قَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف/18] وحين وصله خبر ولده الثاني قال: {قَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ} [يوسف/83]

3- كان الحرص الشديد يملأ نفسه ، والغيرة على الدين تعمر فؤاده ، والخوف على مستقبل بنيه يقلق قلبه . فحين كان يعقوب ﷺ على فراش موته ، ما كان يشغل باله ونفسه إلا هذه المعاني ، وهذه المعالم . قال تعالى: {أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَالِاهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [البقرة/133]

4- كان ﷺ ذا عاطفة حيّاشة، ونفسية رقيقة شقافة. وقصته مع ولده وحببيه يوسف ﷺ تدل على هذه النفسية وهذه العاطفة. لقد عمي ﷺ من شدة حزنه وبكائه ووجده على يوسف. قال تعالى: {وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ وَأَبْيَضْتُ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ} [يوسف/84] ويوم فصلت العير في طريق عودتها من مصر ومعها قميص يوسف شم رائحته وهو بعيد عنه مئات الأميال. قال تعالى: {وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنَِّّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ} [يوسف/94].

وذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند يعقوب ﷺ في ثلاثة مشاهد من سورة يوسف. وتعد هذه السورة أكثر سور القرآن إبرازاً وإظهاراً لانفعال الحزن. كما أنها السورة الوحيدة التي صورت نفسية يعقوب ﷺ على حقيقتها، ورسمتها بواقعيته كوالد ملهوف على ولده ينفعل حزناً وخوفاً عليه، وكنبي موصول بربه ومتفائل ثقة به. والمشاهد الثلاثة هي:

أولاً: حزن يعقوب عليه السلام على فراق يوسف عليه السلام

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى: {قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ إِنَّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ} [يوسف/11-13].

فهذا المشهد يكشف الستار عن انفعال يعقوب ﷺ انفعال حزن مقرون بالخوف على ولده يوسف ﷺ ، كما يكشف عن مدى تعلق يعقوب ﷺ به.

فما إن راود أولاد يعقوب ﷺ أباهم لاصطحاب أخيه يوسف ﷺ معهم في رحلة الرعي ، حتى بدأ الحزن عليه ظاهراً ، بل إنه صرح لهم أنه " يحزني أن تذهبوا به لأنني لا أصبر عن رؤيته ، ولا أطيق فرقة ... هذا إذا كان الحال سلامته .. فكيف ومع هذا أخاف أن يأكله الذئب " ¹⁹ .

وقوله: {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي}، أي "حزناً ظاهراً محققاً . بما أشار إليه إظهاره النون وإثباته لام الابتداء " ²⁰ . واللام في {لَيَحْزُنُنِي} "لام الابتداء كقوله: {وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [النحل/124] ودخولها أحد ما ذكره سيبويه من سببي المضارعة" ²¹ . وأتى بهذه اللام "للتأكيد، ولتخصيص المضارع بالحال. أخبرهم أنه يحزن لغيبه يوسف عنه لفرط محبته له وخوفه عليه " ²² .

وهذا يؤكد حصول انفعال الحزن عند يعقوب ﷺ لحظة طلبهم يوسف ﷺ منه . كما يؤكد مدى تعلق الوالد بولده.

بينما نجد أن أبا حيان ينكر حصول انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام في هذا المشهد حيث يقول: " (لِيَحْزُنُنِي) مستقبل لا حال، لأن المضارع إذا أسند إلى متوقع تخلص للاستقبال لأن ذلك المتوقع مستقبل ، وهو المسبب لأثره ، فمحال أن يتقدم الأثر عليه ، فالذهاب لم يقع ، فالحزن لم يقع " ²³ .

وقد ردّ الألوسي على هذا الرأي ، مؤكداً حصول انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام قائلاً : "فإن الحزن والغم كالسرور والفرح يكون بالشيء قبل وقوعه كما صرح به أبو هلال ²⁴ في فروقه ، ولا حاجة إلى تأويل ، أو تقدير ، أو تنزيل للوجود الذهني منزلة الخارجي على القول به ، أو الاكتفاء به فإن مثله لا يعرفه أهل العربية ، أو اللسان ، فإن أبيت إلا اللجاج فيه فليكن من التجوز في النسبة إلى ما يستقبل لكونه سبباً للحزن الآن " ²⁵ .

وأنا أميل إلى أن يعقوب عليه السلام انفعال حزناً وغماً على يوسف عليه السلام في هذا المشهد وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: أن لام الابتداء في (لِيَحْزُنُنِي) قصرت الفعل على الحال . وهذا ما رجّحه الزمخشري ²⁶ ، والشوكاني ²⁷ ، والألوسي ²⁸ . والمعنى : أن حالة يعقوب عليه السلام النفسية انتابها الحزن في الوقت الذي طلب أولاده ذهاب يوسف عليه السلام معهم .

ثانياً: إن فرط محبة يعقوب عليه السلام لولده ، وشدة تعلقه به ، وعدم قدرته أو تحمله فراقه ، أو الابتعاد عنه ، لا يمنع من حصول الحزن عنده .

ثالثاً: ما دام أن الحزن ألم نفسي يحدث لفقدان محبوب أو وقوع مكروه ، فإن يعقوب عليه السلام توقع حصول المكروه على يوسف عليه السلام من إخوته ، لكنه كتم الحزن مع الهمّ والغمّ كي لا يزيد الأمر تعقيداً مع أولاده ، حيث إنه لو أظهر لهم الحزن لتغلغل الحسد واشتعل في نفوسهم التي أضمرت ليوسف عليه السلام الشر مسبقاً ، وخططت لإبعاده عن أبيه .

ثانياً : حزن يعقوب عليه السلام على فقدان يوسف عليه السلام

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى: {وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ * قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذَّنْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف/16-18].

فهذا المشهد ، وهذه الكلمات التي خرجت من فم يعقوب عليه السلام تخفي في داخلها الحسرة والأسى ، والهمّ والغمّ ، والحزن العميق على فقدان ولده يوسف عليه السلام .

ويعقوب عليه السلام " أدرك من دلائل الحال ، ومن نداء قلبه ، أن يوسف لم يأكله الذئب ، وأنهم دبّروا له مكيدة ما ، وأنهم يلفقون له قصة لم تقع ، ويصفون له حالاً لم تكن ، فواجههم بأن نفوسهم قد حسنت لهم أمراً منكراً ، ودلّته ويسرت لهم ارتكابه ، وأنه سيصبر متحماً متجماً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو ، مستعيناً بالله على ما يلفقونه من حيلٍ وأكاذيب " ²⁹

وقوله : (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) ، أي " فأمرني الذي أعتصم به تجاه مكيدتكم هو صبر جميل على حزني الذي لا أبدي فيه تضجراً ولا جزعاً ، ولا أقول فيه إلا ما يرضي ربي " ³⁰ . وقال القاسمي : " الصبر : قوة للنفس على احتمال الآلام كالمصائب إذا عرضت . والجميل منه هو ما لا شكوى فيه إلى الخلق ولا جزع ، رضاً بقضاء الله ، ووقوفاً مع مقتضى العبودية " ³¹ .

وقوله: (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ)، أي "من هذه المصيبة لا أستعين على احتمالها غيره أحداً منكم ولا من غيركم" ³².

فالحاصل أن يعقوب عليه السلام حزن حزناً عميقاً ، لكنه كتمه وكظمه في نفسه ، وكأن الحزن لم يظهر على قسماط وجهه ، واكتفى بالشكوى إلى الله تعالى والصبر والاحتساب على مصابه .

ويبدو من قول يعقوب عليه السلام : (وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ) بعد قوله : (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ)، ما يدل على قوة المغالبة بين دواعيه النفسية المتحرقة حزناً وهماً على يوسف عليه السلام والتي تدعوه لإظهار الجزع ، وبين داعي الرحمن الذي يأمره بالصبر والرضا . فكان لا بد من الاستعانة بالله تعالى على لجم دواعيه النفسية ³³ .

ثالثاً : حزن وبكاء يعقوب عليه السلام على فاجعة يوسف وأخيه

ويبدأ هذا المشهد من قوله تعالى على لسان إخوة يوسف عليهم السلام: {ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ * وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [يوسف/80-86].

وهذا المشهد هو أبرز مشاهد انفعال الحزن في القرآن الكريم على الإطلاق . فقد جمع مع الحزن الكمد والهَمَّ ، والبكاء والبَثَّ والشكوى إلى الله تعالى . ونتج عنه ضعف البصر جداً .

وقد كشف هذا المشهد عن تطور انفعال الحزن عند يعقوب عليه السلام حتى وصل إلى أربع مراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة الهمّ المكبوت في داخل النفس ، وهي مقدمة للحزن بل جزء منه

فيعقوب عليه السلام ما إن أخبره أولاده بما جرى لأخيهم مع عزيز مصر من احتجازه بسبب سرقة المكيال، حتى قال الكلمات نفسها التي قالها حين جاؤوا بخبر أكل الذئب لأخيهم يوسف: {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}، وهذه الكلمة تخفي في داخلها الشك من كلام أولاده، والهم والغم المكبوت في القلب.

المرحلة الثانية: مرحلة الحزن الشديد المقرون بتذكر أحزان الماضي وأشجانه

يقول الدكتور أحمد نوفل وهو يصف هذه المرحلة : " لقد هجر الناس واعتزل ، أو انصرف عنهم ، تاركا قولهم وتأكيداتهم ، خالياً إلى نفسه ، ممتلئاً حزناً ، قائلاً: (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ)، ويا لها من كلمة تقطر حزناً ومرارة ، وحرقة ولهفة ، وهذه الكلمة ومثيلاتها في اللغة العربية مثل يا حسرتي ، ويا ويلتي ، لا يقصد بها حقيقة النداء ، وإنما هي مجاز كأنه ينادي الأسف أن يسعفه" ³⁴.

وقال محمد جواد مغنية: "اعتزل الناس ليندب وحده من لن ينسأه أبداً، يندبه بهذه الصرخة الحزينة (يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ)، وزاده فراق ولده الثاني حزناً على حزن، وبكاءً على بكاء، (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ)، أصيبتنا بالقرحة من آثار البكاء فهو يتنفس منهما بالدموع ، كما يتنفس من رثيته بالآهات والحسرات (فَهُوَ كَظِيمٌ)، يتجرع الغيظ ويتجلد ولكن على حساب جسمه وأعصابه" ³⁵. وأما سبب إعراضه عن أولاده فقد كان "كراهةً لما سمع منهم" ³⁶.

وقوله (يَا أَسْفَى عَلَى يُوسُفَ)، الأسف: "أشد الحزن والحسرة إلى نفسه، والألف بدل من ياء الإضافة"³⁷. ونداء الأسف "مجاز. نزل الأسف منزلة من يعقل فيقول له: أحضر فهذا أوان حضورك، وأضاف الأسف إلى ضمير نفسه لأن هذا الأسف جزئي مختص به من بين جزئيات جنس الأسف"³⁸. وقيل معناه: "يا رب ارحم أسفي على يوسف"³⁹.

وقال الشوكاني: "قال يعقوب هذه المقالة لما بلغ منه الحزن غاية مبالغة بسبب فراقه يوسف وانضمام فراقه لأخيه"⁴⁰.

ولكن ما الذي ذكّر يعقوب عليه السلام بولده يوسف عليه السلام، وجعل شدة حزنه ووجده عليه دون أخيه مع أن المشهد جاء في سياق الحديث عن ولده وليس عن يوسف عليه السلام؟

والسبب كما يقول الزمخشري: "أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غصاً عنده طرياً، ولأن الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده، فكان الأسف عليه أسفاً على من لحق به"⁴¹. وأما الرازي فقد ذكر أربعة وجوه لعظم حزنه على مفارقة يوسف عليه السلام عند هذا المشهد وهي⁴²:

- 1- أن الحزن الجديد يقوّي الحزن القديم الكامن، والقرح إذا وقع على القرح كان أوجع .
- 2- أن يوسف وأخاه كانا من أمّ واحدة ، وربما كانت المشابهة بينهما في الصورة والصفة أكمل فكان يعقوب يتسلّى برويته عن رؤية يوسف ، فلما وقع ما وقع زال ما يوجب السلوة فعظم الألم والوجد⁴³.
- 3- أنّ المصيبة في يوسف كانت أصل مصائبه التي عليها ترتبت سائر المصائب والرزايا ، وكأن الأسف عليه أسفّ على الكل .

4- أن المصائب الجديدة كانت أسبابها جارية مجرى الأمور التي يمكن معرفتها والبحث عنها أضف إلى أن مكان من فقد مؤخراً معلوم ، أما يوسف فلما يعلم يعقوب له مكانا ، ولا للمصيبة فيه كيفية .

وهذه المرحلة من الحزن فيها تجانس جميل بين كلمتي {الأسف} و{يوسف} ، وكأن النص يشير إلى أن الحزن الشديد والكبير والعظيم والفاجرة الكبرى كانت بفقدان يوسف. وهذا "مما يزيد النظم الكريم بهجة"⁴⁴، "ويقع مطبوعاً غير مستعمل فيملح ويبدع"⁴⁵.

المرحلة الثالثة : ذهاب البصر من شدة الحزن والبكاء والكمد

فقوله تعالى: (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ)، قال ابن عاشور: "وعندي أن ابيضاض العينين كناية عن عدم الإبصار. وأن الحزن هو السبب لعدم الإبصار كما هو الظاهر، فإن توالي إحساس الحزن على الدماغ قد أفضى إلى تعطيل عصب الإبصار، على أن البكاء من الحزن أمر جبلي فلا يستغرب صدوره من نبي"⁴⁶.

وقال الشيخ عبد الكريم الخطيب وهو يصف هذه المرحلة من الحزن: "وهكذا تهجم لوعات الأسى والحسرة على الشيخ الكبير ، حتى لقد ابيضت عيناه من الحزن الدفين ، الذي أبى على عينيه أن تبللها قطرات الدموع ، وأن تطفئ النار المشتعلة فيهما ، حتى أتت على فحمة سوادهما ، وأحالته رمادا"⁴⁷.

وقوله تعالى: (فَهُوَ كَظِيمٌ)، الكظم في اللغة: الردّ والحبس⁴⁸. وقال الأصفهاني: "الكظم: مخرج النفس"⁴⁹. والمعنى: "فهو مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوؤهم"⁵⁰.

في حين نجد أن جمهرة المفسرين يفسرونها بممتلئ القلب من الحزن الشديد الذي لا يظهره للناس⁵¹.

ولا يمنع أن يكون قلبه مملوءاً بالحزن على يوسف عليه السلام ، والغیظ الشديد على أولاده الذين تسببوا له بهذه المواجه والأحزان. وكظم الحزن الشديد في القلب وحبسه في الصدر هو "الحزن أفدح الحزن، وأشدّه قسوة" ⁵². وهذه المرحلة أظهرت: " أن أشرف أعضاء الإنسان كانت غريقة في الغمّ ، فاللسان كان مشغولاً بقوله (يا أسفى)، والعين بالبكاء والبياض ، والقلب بالغمّ الشديد الذي يشبه الوعاء المملوء الذي شدّ ولا يمكن خروج الماء منه ، وهذا مبالغة في وصف ذلك الغمّ " ⁵³.

المرحلة الرابعة: قطع الشكاية بالحزن والبتّ إلا إلى الله تعالى

فإن الحزن والأسى يمكن أن يخفّ أو ينتهي بيته إلى الناس ، وإفراغ الهموم والأحزان والغمّ والهمّ وأسبابها إليهم مما يريح النفس ويجلي الصدر خاصة إذا بثه إلى أهل الصلاح أو التخصص . أما إذا بقيت هذه الأحزان مأسورة في القلب بعد أن جفت العين من البكاء ، فهذا قمة مراحل الحزن .

وقوله : {إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزْنِي} ، قال أبو السعود : " البتّ : أصعب الهمّ الذي لا يصبر عليه صاحبه فيبته إلى الناس ، أي ينشره " ⁵⁴. وقال الميداني : " والبتّ : الشكوى التي يصرح بها الشاكي بلسانه عن أوجاعه وآلامه المادية والمعنوية " ⁵⁵ .

لكن هل هناك فرق بين البتّ والحزن ؟ أم أن بينهما اشتراكاً؟

يجيب على ذلك الإمام الرازي بقوله : " فالحزن إذا ستره الإنسان كان همّاً ، وإذا ذكره لغيره كان بتّاً ، وقالوا: البتّ أشدّ الحزن، والحزن أشدّ الهمّ " ⁵⁶.

فقوله : (إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزْنِي إِلَى اللَّهِ) ، قد حصر فيه الشكاية إلى الله وحده دون سواه وكأنه يقول: "إنما أشكو حزني العظيم، وما دونه من الحزن إلى الله لا إلى غيره من الناس" ⁵⁷. وذلك أن البتّ هو الحزن العظيم والحزن ما دونه.

وقال الميداني: " وعطف الحزن على البتّ يقتضي المغايرة ، فالمعنى : ما أشكو حالي وضعفي ومرضي وحزني إلا إلى الله بيني وبينه ، ولا أشكو لأحد سواه " ⁵⁸ .

ويرى ابن عاشور أن ثمة علاقة بينهما، حيث يقول: "البتّ: الهمّ الشديد وهو التفكير في الشيء المسيء. والحزن: الأسف على فائت. فبين الهمّ والحزن العموم والخصوص الوجهي، وقد اجتمعا ليعقوب عليه السلام لأنه كان مهتماً بالتفكير في مصير يوسف عليه السلام وما يعترضه من الكرب في غربته وكان أسفاً على فراقه" ⁵⁹.

وهكذا نرى أن هذا المشهد أكثر مشاهد القرآن الكريم حزناً ، وأنه جمع مراحل الحزن كلها.

المطلب الثاني : مشاهد الحزن عند نبينا محمد عليه الصلاة والسلام

بيّن القرآن الكريم في أكثر من عشر آيات حصول الحزن عند نبينا محمد صلى الله عليه وآله ، وكان سبب هذا الحزن أمرين اثنين هما:

الأول: حزنه عليه الصلاة والسلام على افتراءات وتقولات المكذبين والجاحدين عليه

قال تعالى: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}.

[الأنعام/33]

يقول رشيد رضا عند هذه الآية : " وقد أثبت تعالى لرسوله ﷺ هذا الحزن إثباتاً مؤكداً بتعلق علمه التجيزي به في بعض الأحيان ، أي عندما كان يعرض عليه ﷺ ، وإِنَّ مع ضمير الشأن وباللام " 60 .
 وقوله تعالى: (قَدْ نَعْلَمُ)، " تحقيق للخبر الفعلي " 61 ، " وتأكيد العلم بما ذكر " 62 .
 وقوله تعالى: (الَّذِي يَقُولُونَ)، من قولهم عن النبي ﷺ إنه " ساحر كذاب " 63 . كما قال تعالى: {وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} . [يونس/65] وقال تعالى: {فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ} . [يس/75]

ومعنى الآية " قد نعلم أيها الرسول إنه ليحزنك ويؤلم نفسك ما عليه هؤلاء القوم ، وما يقولونه لك من تكذيب وطعن ، وتفسير للعرب عن دعوتك ، وهذه نفسك الطاهرة تتألم " 64 .

وقد ذكر الإمام الطبري رواية صحيحة في سبب نزول الآية، قال: "حدثنا هناد، قال: حدثنا أبو معاوية عن إسماعيل بن أبي خالد، عن أبي صالح، في قوله: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} [الأنعام/33] قال: جاء جبريل إلى النبي ﷺ ذات يوم وهو جالس حزين، فقال له: ما يحزنك؟ فقال: كذبني هؤلاء. قال: فقال له جبريل: إنهم لا يكذبونك هم يعلمون أنك صادق، (وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) " 65 .
 وقد جاءت هذه الآية تسلييةً وتأنيساً للنبي ﷺ عن الحزن الذي أصابه بسبب هذا التكذيب وهذه التقولات والإشاعات حوله وحول دعوته، وكأنها تقول له يا محمد " هم لا يكذبونك في الحقيقة وإنما يكذبون الله بجحود آياته. فاله عن حزنك لنفسك وإن هم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو أهم " 66 .

الثاني : حزن النبي عليه الصلاة والسلام لعدم إيمان قومه بدعوته

قال تعالى: {لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ} . [الحجر/88] وقال تعالى: {وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ} . [النحل/127]

وهذه الآيات تنهى النبي ﷺ عن الحزن على الكافرين "لكفرهم وعدم هدايتهم" 67 . كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنُ قُلُوبُهُمْ} . [المائدة/41] والمعنى "لا تهتم ولا تبال بهؤلاء المنافقين الذين يسارعون في الكفر أي في إظهاره بالتحيز إلى أعداء المؤمنين من أهله" 68 .

وقد وصل الأمر بالنبي ﷺ أن يهلك نفسه غماً وهمماً وحزناً وألماً على عدم استجابة الكفار لدعوته، كما قال تعالى: {فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} . [الكهف/6] وذلك أن النبي ﷺ "كان حريصاً على هداية الخلق، ساعياً في ذلك أعظم السعي، فكان ﷺ يفرح ويسرّ بهداية المتدينين، ويحزن ويأسف على الكافرين الضالين شفقةً منه عليه السلام عليهم، ورحمةً بهم" 69 .

ومعنى (بَاخِعٌ نَفْسَكَ)، " مهلك نفسك بحزنك عليهم " 70 .

وفي الآية "يعاتب الله تعالى رسوله ﷺ ويخفف عنه ما يجده في نفسه من الحزن على عدم إيمان قومه واشتدادهم في الكفر والتكذيب، وما يقترحونه عليه من الآيات. أي فلعلك يا رسولنا قاتل نفسك على إثر رفض قومك للإيمان بك وبكتابك وما جئت به من الهدى، حزناً عليهم، وجزعاً منهم، فلا تفعل" 71 .

وقد تضمنت الآية ذكر الأسف وهو: شدة الحزن بقوله تعالى: (أَسَفًا)، وهو " فرط الحزن والغضب " 72 .

وقد نهى الله تعالى نبيه ﷺ في أكثر من موضع في القرآن الكريم عن إهلاك نفسه الشريفة حزناً على الكافرين ، منها قوله تعالى : {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} . [الشعراء/3] وقوله تعالى : {قَلَّا تَذْهَبُ نَفْسَكَ عَلَيَّمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ} . [فاطر/8]

وهذه الآيات تؤكد على أن الحزن غير مرغوب فيه، لأن الله تعالى نهى نبيه ﷺ عنه. حتى قال رشيد رضا: "والحزن مذموم طبعاً وشرعاً مهما كان سببه، لهذا نهى الله عنه"⁷³.

وأنا لست مع هذا التعميم، والقول بأن الحزن مذموم طبعاً وشرعاً مهما كان سببه، لأن الحزن انفعال فطري وطبعي في المخلوقات، وإنما الذي ينهى عنه هو لوازمه ونتائجه المخالفة للشرع، وكذلك الحزن المؤدي إلى هلاك النفس كما حصل للنبي محمد ﷺ ، وليعقوب عليه السلام حتى إن أولاده شعروا بأن أباهم في خطر بسبب حزنه ووجده على يوسف عليه السلام قائلين له: {تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} ⁷⁴ . [يوسف/85]

المبحث الثالث

القيم التربوية لانفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام

ذكر القرآن الكريم حزن بعض الأنبياء عليهم السلام، وكشف عن مكنونات نفوسهم تجاه سبب هذا الحزن، فمنهم من كان حزنه عاطفياً بحتاً كحزن يعقوب عليه السلام ، ومنهم من كان حزنه على واقع أمته ومآل قومه في الدنيا والآخرة كحزن نبينا محمد ﷺ ، وكلا النوعين يفيد أبناء هذه الأمة، كما يجعل منهما وسيلة تأس واقتداء في التربية، فمن أهم القيم التي نستفيد منها من وقوع الحزن عند الأنبياء عليهم السلام:

أولاً : أصل الحزن جائز، وذلك أنه انفعال طبيعي فطر الله الإنسان عليه، وجعله غريزة فيه، بل جعله والضحك آيتين من آياته ، قال تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى} [النجم/43] فهو سبحانه خالق الضحك والبكاء وخالق أسبابهما، والبكاء لا يأتي عادة إلا بعد حزن⁷⁵.

قال سيد قطب عن الضحك والبكاء: "وهما من أسرار التكوين البشري لا يدري أحد كيف هما، ولا كيف تقعان في الجهاز المركب المعقد، الذي لا يقل تركيبه وتعقيده النفسي عن تركيبه وتعقيده العضوي، والذي تتداخل المؤثرات النفسية والمؤثرات العضوية فيه وتتفاعلان في إحداث الضحك وإحداث البكاء"⁷⁶. بل إن الحزن مظهر من مظاهر قدرة الله عز وجل، وسر من أسرار خلق هذا الإنسان .

وأنبياء الله ورسله عليهم السلام _ لكونهم بشراً _ أصابهم الحزن بأنواعه وأشكاله، وتعدد مسبباته. فهذا يعقوب عليه السلام حزن حزناً شديداً، وملك الحزن ذاته وكيانه. حتى كان كلما ذكر يوسف عليه السلام بكى بكاءً شديداً لشدة وجده وحزنه عليه حتى كاد البكاء يودي به {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ} [يوسف/85] ونبينا محمد عليه السلام حزن حزناً شديداً، وكاد الحزن يقتله كمداً وأسى على قومه الكافرين {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف/6]

ثانياً: الحزن لا يحمل على الركود والقعود والضعف والدعة. وذلك أن الحزن انفعال عابر لظرف طارئ لا يجوز أن يلزم الإنسان وخاصة المسلم. لأن الحزن إن لازم الإنسان أياماً وأسابيع يصبح أسى "والأسى حالة مزاجية"⁷⁷ تقعد الإنسان عن العمل، وتثبط همته، وتشغل فكره فترة غير قصيرة من الزمن.

من هنا جاء النهي عن الحزن الذي يؤدي إلى القعود أو النكوص على الأعقاب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. [آل عمران/139] ومعنى (وَلَا تَحْزِنُوا) أي "لا تحزنوا على من قتل منكم"⁷⁸. وقال رشيد رضا: "وقد يقال هنا: لماذا نهاهم عن الوهن بما عرض لهم والحزن على ما فقدوا في أحد وكل من الوهن والحزن كان قد وقع وهو أمر طبيعي في مثل الحال التي كانوا عليها؟ والجواب: أن المراد بالنهي ما يمكن أن يتعلق به الكسب من معالجة وجدان النفس بالعمل ولو تكلفاً، كأنه يقول انظروا في سنن من قبلكم تجدوا أنه ما اجتمع قوم على حق وأحكموا أمرهم وأخذوا أهبتهم وأعدوا لكل أمر عدته، ولم يظلموا أنفسهم في العمل لنصرتهم، إلا وظفروا بما طلبوا، وعوضوا مما خسروا، فحولوا وجوهكم عن جهة ما خسرتم، وولوها جهة ما يستقبلكم، وانفضوا به بالعزيمة والحزم، مع التوكل على الله عز وجل، والحزن إنما يكون على فقد ما لا عوض منه وإن لكم خير عوض مما فقدتم"⁷⁹.

ويحق لنا أن نتساءل، لماذا أقعد الحزن يعقوب عليه السلام حين أخبره أولاده بأكل الذئب يوسف عليه السلام؟ أليس من الواجب عليه أن يذهب ويبحث عن ولده يوسف عليه السلام؟ ثم أليس من واجبه أن يتحقق من خبر أولاده؟ ثم يقيم القصص عليهم بسبب فعلتهم ومكيدتهم ومحاولة قتل أخيهم؟

ويجب على هذا التساؤل الفخر الرازي حيث يقول: "لا جواب عنه إلا أن يقال إنه سبحانه وتعالى منعه عن الطلب تشديداً للمحنة عليه، وتغليظاً للأمر عليه، وأيضاً لعله عرف بقرائن الأحوال أن أولاده أقوياء وأنهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص، وأنه لو بالغ في البحث فربما أقدموا على إيذائه وقتله، وأيضاً لعله عليه السلام علم أن الله تعالى يصون يوسف عن البلاء والمحنة وإن أمره سيعظم بالآخرة، ثم لم يرد هتك أستار سرائر أولاده وما رضي بإلقائهم في أسنة الناس لأن أحد الولدَيْن إذا ظلم الآخر وقع الأب في العذاب الشديد لأنه إن لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وإن انتقم فإنه يحترق قلبه على الولد الذي ينتقم منه، فلما وقع يعقوب عليه السلام في هذه البلية رأى أن الأصوب الصبر والسكوت وتفويض الأمر إلى الله تعالى بالكلية"⁸⁰.

وأنا أميل إلى أن السبب في عدم القيام بواجب البحث عن يوسف عليه السلام والتحقيق مع أولاده بشأنه أحد أمرين اثنين:

الأول: أن الله تعالى منعه عن البحث والعمل على استنقاذ يوسف عليه السلام. وهذا الأمر مرجوح لأنه لا يوجد نص قرآني أو نبوي يؤكد ذلك، وهذه قضية غيبية تحتاج إلى نص، ثم إن هذه القضية المهمة متعلقة بحياة إنسان فلو منعه الله تعالى لبيّن ذلك سريعاً لأنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، والحاجة هنا ماسّة، ولم يبينها الله سبحانه.

الثاني: أن يعقوب عليه السلام لم يرغب في قطع الصلة بالكلية بينه وبين أولاده، فيعقوب عليه السلام كان يستشعر أن علاقة أولاده به متوترة ويسودها الشك والريب وعدم الثقة، فمن هنا لو أراد يعقوب عليه السلام التحقيق معهم، وتكذيب روايتهم صراحة، والقيام بالبحث عن يوسف عليه السلام لهدم هذه العلاقة بالكلية، ولقطع جسر الوصل بينه وبينهم، من هنا لازم الصبر والحزن، مع تيقنه أن الله تعالى سيحفظ ولده ويرعاه، وسيكون له شأن عظيم، بدليل قوله ليوسف عليه السلام وهو يطمئنه على مستقبل مشرق: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُنْمِئُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَنْتَ عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. [يوسف/6]

أما نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان الحزن دافعاً له على العمل والدعوة والنشاط والهمة والتحرك المستمر.

صحيح أن الحزن أوشك أن يقتله ﷺ ، إلا أن هذا الحزن بقي داخلياً في نفسه ، ومع ذلك جاءه النهي الإلهي ﴿قَلَّا تَذَهَبَ نَفْسَكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر/8] وهذا الحزن القاتل كان من أجل هداية الناس وإدخالهم إلى الإسلام .

ثالثاً: من أهم وسائل دفع الحزن التي نتلمسها من انفعال الحزن عند الأنبياء ما يأتي:

1- التوجه إلى تعالى، والاتصال به، والاطمئنان إليه ، والاستعانة به ، والصبر على قضائه، واستشعار معية الله. ويكون التوجه إلى الله في كل الأحوال، في الشدة والرخاء.

فهذا يعقوب عليه السلام يعطينا أروع الأمثلة في دفع أحزانه والتخفيف من آلامه ، من خلال صلته بربه عز وجل ، وتوكله عليه ، والاستعانة به ، فحين جاءه خبر أكل الذئب ولده يوسف عليه السلام قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف/18]، أي أصبرُ وأستعينُ بالله وألتجئُ إليه. وحين وصله نبأ فقد ولده الثاني كرر نفس الوسيلة لنجاعتها وأهميتها، مضيفاً إليها بارقة أمل باللقاء ولم الشمل قائلاً: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ [يوسف/83]، ثم بيّن أن الشكاية لله تعالى، واحتساب الأحزان والهموم عند خالقها مما يخفف عن المصاب، ويهون عليه الأحزان ، قائلاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف/86].

وحين انفعال النبي ﷺ حزناً على عدم إيمان قومه ، وجهه ربه سبحانه أن يجعل صبره في ذلك عليه ، ولا يحزن، قائلاً : ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل/127]، ولقد وجه الرسول ﷺ رفيق دربه في الهجرة الى هذه الوسيلة الناجحة بقوله: ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾. [التوبة/40]

2- المكاشفة والمصارحة . وهي من الوسائل العملية في التخفيف من الأحزان ، حيث إن المحزون إن نفس عن أحزانه ببيان سبب حزنه ، وكشف ما في نفسه والإفصاح عنه ، فإنه يخفف عنه حزنه .
لقد استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب كثيراً ، فما كان يُسأل عن حزن حزنه أو دمعة نزلت منه إلا وصرح للوسائل عن سببها .

فقد جاء في سبب نزول قوله تعالى : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [الأنعام/33]، "أن جبريل عليه السلام جاء إلى رسول الله ﷺ وهو حزين فسأله عن سبب حزنه، فكشف له وصارحه بقوله: "كذبني قومي" ، فخفف عنه جبريل بقوله: إنهم لا يكذبونك ...⁸¹ .

كما ثبت في البخاري في قصة موت إبراهيم ابن النبي ﷺ أنه عليه السلام ذرفت عيناه ، فقال له عبد الرحمن بن عوف مستغرباً ومستفسراً : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : " يا ابن عوف إنها رحمة "⁸² .

الخاتمة

بعد هذه الجولة مع انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام، فإنه يجدر بنا أن نسجل أهم النتائج التي تم التوصل إليها:

1- انفعال الحزن عبارة عن حالة وجدانية داخلية، يصاحبها تغيرات فسيولوجية ونفسية معاً، وعليه فالحزن في أصله عملية طبيعية في الإنسان، ولكن ما ينتج عن هذا الانفعال يمكن أن يُفوّمَ أو يصوّب.

2- ذكر القرآن الكريم انفعال الحزن عند الأنبياء عليهم السلام من خلال بعض المشاهد، في ثنايا سوره وآياته، وبيّن المؤثرات والأسباب لهذه الظاهرة وذكر الآثار المترتبة عليها.

- 3- وقوع الحزن من الأنبياء على بعض الأمور، يدل على شفافية أرواحهم ورقتها، وعظمتها في التفاعل مع الأحداث المحيطة.
- 4- كشف القرآن الكريم عن سبب الحزن عند الأنبياء، فمنهم من كان حزنه عاطفياً بحتاً كحزن يعقوب عليه السلام ، ومنهم من كان حزنه على واقع أمته ومآل قومه في الدنيا والآخرة كحزن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .
- 5- الحزن لا يحمل على الركون والقعود والضعف والدعة. وذلك أن الحزن انفعال عابر لظرف طارئ لا يجوز أن يلزم الإنسان وخاصة المسلم. لأن الحزن إن لازم الإنسان يقعده عن العمل، ويثبط همته، ويشغل فكره.
- 6- من أهم وسائل دفع الحزن التي نتلمسها من انفعال الحزن عند الأنبياء: التوجه إلى تعالى، والاتصال به، والاطمئنان إليه، والاستعانة به، والصبر على قضائه، واستشعار معية الله. والمكاشفة والمصارحة. وهي من الوسائل العملية في التخفيف من الأحزان، حيث إن المحزون إن نَقَسَ عن أحزانه ببيان سبب حزنه، وكشف ما في نفسه والإفصاح عنه، فإنه يخفف عنه حزنه.

الهوامش

- 1 انظر: ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ. ج 13 ص 111. الجوهري، وإسماعيل بن حماد: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية). 7مج. تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار. ط:2. بيروت: دار العلم للملايين. 1979. ج 5 ص 2098. والرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: مختار الصحاح. ط:1. بيروت. دار الكتاب العربي. 1979. ص13. والزبيدي، محمد مرتضى: تاج العروس. 10مج. ط: 1. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1306هـ . ج9 ص174.
- 2 انظر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ. ج 4 ص 215. البستاني، وبطرس: قطر المحيط. 2مج. بلا طبعة. بيروت: مكتبة لبنان . بلا تاريخ . ج 1 ص 396 .
- 3 ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة. 6مج. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:2. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي. 1971. ج 2 ص 54 .
- 4 الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في غريب القرآن. راجعه: وائل أحمد عبد الرحمن. بلا طبعة . القاهرة: المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ. ص 123.
- 5 رضا، محمد رشيد: تفسير القرآن الحكيم. 12مج. ط:2. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ . ج 6 ص 387.
- 6 النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. 2مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ. ج3 ص7. وانظر: أبا السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. 6مج. وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999م. ج3 ص370. والطبرسي، الفضل بن الحسن: مجمع البيان في تفسير القرآن. 6مج. بلا طبعة. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1961. ج 4 ص 23 .
- 7 رضا: تفسير القرآن الحكيم. ج 7 ص371. وانظر: الزحيلي، وهبه: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. 15مج. ط.1. بيروت: دار الفكر المعاصر. 1998. ج7 ص182. والميداني، عبد الرحمن حسن حبتكة: معارج التفكير وديانات التدبر. 15مج. ط:1. دمشق: دار القلم، 2002م. ج 10 ص 723.

- 8 مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم ، بعنوان : "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟.انظر :
<http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294>
- 9 مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان " الاكتئاب " . انظر :
<http://ar.wikipedia.org/wiki>
- 10 مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم ، بعنوان: "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟.انظر:
<http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294>
- 11 مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان:" الكآبة... مرض العصر. انظر :
http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_Wellbeing/270990
- 12 ابن حجر ، أحمد بن علي بن محمد: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. 13مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه محب الدين الخطيب. بلا طبعة. بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر. بلا تاريخ. ج 3 ص174.
- 13 ابن تيمية، أبو العباس أحمد: **أمراض القلوب وشفاؤها**، القاهرة، المطبعة السلفية، 1399هـ، ص42.
- 14 البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند(صحيح البخاري)**. 3مج. بتبويب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003. كتاب الجنائز. باب قول النبي ﷺ "إنا بك لمحزونون". رقم الحديث (1303). ج 1 ص250. وقد رواه مسلم في صحيحه بلفظ: "تدمع العين ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، والله يا إبراهيم إنا بك لمحزونون". انظر: مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**. 5مج. رقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع. طبعة 1983. كتاب الفضائل. باب رحمة ﷺ الصبيان والعيال، وتواضعه وفضل ذلك. رقم الحديث (2315). ج4 ص1808.
- 15 أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى: **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي، ج3 ص1421.
- 16 قال تعالى: {كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ}. [سورة آل عمران. الآية 93].
- 17 القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**. 22مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ. ج1 ص331.
- 18 وهي: البقرة: الآيات(132,133,136,140)، وآل عمران: الآية(84)، والنساء: الآية(163)، والأنعام : الآية(84)، وهود: الآية(71)، ويوسف: الآيات(6,38,68)، ومريم: الآيات(6,49)، والأنبياء: الآية(72)، والعنكبوت: الآية(27)، وص : الآية(45).
- 19 القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: **لطائف الإشارات**. 3مج . علق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن . ط : 1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 2000 . ج 2 ص 69.
- 20 البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر : **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 8مج . تحقيق: عبد الرزاق المهدي . ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1995. ج 4 ص 15.
- 21 الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. 4مج. حققه: محمد الصادق قماوي. بلا طبعة. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1972. ج 2 ص 306
- 22 الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. 5مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ. ج 3 ص 10.

- 23 أبو حيان، محمد بن يوسف: **البحر المحيط**. تحقيق: عادل عبد الموجود. ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية. ج 5 ص 287. وانظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير**. 12مج. بلا طبعة. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ. ج 5 ص 231. والميداني: **معارج التفكير**. ج 10 ص 627.
- 24 هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، أبو هلال. عالم بالأدب، له شعر. نسبته إلى "عسكر مكرم" من كور الأهواز. من كتبه في اللغة: التلخيص، والفروق. وله: جمهرة الأمثال، والفرق في المعاني، وغيرها. توفي سنة 395هـ. انظر: الزر كلبي، خير الدين: **الأعلام**. 8مج. ط: 6. بيروت: دار العلم للملايين. 1984. ج 2 ص 196.
- 25 الألويسي، شهاب الدين السيد محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 15مج، بلا طبعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ. ج 12 ص 195 .
- 26 الزمخشري: **الكشاف**. ج 2 ص 306 .
- 27 الشوكاني: **فتح القدير**. ج 3 ص 10 .
- 28 الألويسي: **روح المعاني**. ج 12 ص 195 .
- 29 قطب، سيد: **في ظلال القرآن**. 6مج. ط:17. بيروت، القاهرة: دار الشروق 1992.. ج 4 ص 1976 .
- 30 الميداني: **معارج التفكير**. ج 10 ص 634 .
- 31 القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**. 10مج. رقمه وخرجه أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. بلا تاريخ. ج 9 ص 3521.
- 32 رضا: **تفسير القرآن الحكيم**. ج 12 ص 267 .
- 33 انظر: الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: **مفاتيح الغيب**. 16مج. ط:1. بيروت: دار الفكر. 1981. ج 18 ص 107.
- 34 نوفل، أحمد: **سورة يوسف دراسة تحليلية**. ط: 1. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1989. ص 517.
- 35 مغنية، محمد جواد: **التفسير الكاشف**. ط: 2. بيروت: دار العلم للملايين. 1980. ج 4 ص 349 .
- 36 أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. ج 3 ص 423 .
- 37 الزمخشري: **الكشاف**. ج 2 ص 338.
- 38 ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج 6 ص 42 .
- 39 الجمل، سليمان بن عمر العجلي: **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر. بلا تاريخ. ج 2 ص 475 .
- 40 الشوكاني: **فتح القدير**. ج 3 ص 48.
- 41 الزمخشري: **الكشاف**. ج 2 ص 338 .
- 42 الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج 18 ص 197 .
- 43 هذا السبب بحاجة إلى دليل، وحيث لا يوجد هذا الدليل فإن هذا السبب يكون من الإسرائيليات المسموح التعامل معها لعدم معارضتها نصوص الوحيين على منهج كثير من المفسرين، منهم ابن كثير. انظر: ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**. 7مج. ط: 2. بيروت: دار الفكر. ج 1 ص 8 .
- 44 أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**. ج 3 ص 423 .
- 45 الزمخشري: **الكشاف**. ج 2 ص 338 .
- 46 ابن عاشور: **التحرير والتنوير**. ج 6 ص 43 .

- 47 الخطيب، عبد الكريم: التفسير القرآني للقرآن. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ. ج 7 ص 34 .
- 48 الفيروز آبادي : القاموس المحيط . ج 4 ص 173 .
- 49 الراغب الأصفهاني : المفردات في غريب القرآن . ص 434 .
- 50 الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 339 .
- 51 انظر: الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن. 10مج. تحقيق: أحمد البكري وآخرين. ط:2. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. 2007 ج 6 ص 4609 . والقرطبي: الجامع لأحكام القرآن. ج 9 ص 249 .
- والرازي : مفاتيح الغيب . ج18 ص 200 . والشوكاني: فتح القدير . ج 3 ص 48 . والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. 2مج. ط:1. فلسطين: مطبعة النور. 1997. ج 1 ص 539 .
- 52 الخطيب : التفسير القرآني للقرآن . ج 7 ص 35 .
- 53 الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 200 .
- 54 أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 3 ص 424 .
- 55 الميداني : معارج التفكير . ج 10 ص 723 .
- 56 الرازي : مفاتيح الغيب . ج 18 ص 202 .
- 57 الشوكاني : فتح القدير . ج 3 ص 49 .
- 58 الميداني : معارج التفكير . ج 10 ص 724 .
- 59 ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 6 ص 45 .
- 60 رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 7 ص 371 .
- 61 ابن عاشور : التحرير والتنوير . ج 3 ص 196 .
- 62 أبو السعود : إرشاد العقل السليم . ج 2 ص 347 .
- 63 الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 14 .
- 64 حجازي ، محمد محمود : التفسير الواضح . 3 مج . ط . 6 . القاهرة : مطبعة الاستقلال الكبرى . 1969 . ج 7 ص 50 .
- 65 الطبري: جامع البيان. رقم الرواية (13226). ج4 ص3167. وهذه الرواية صحيحة السند إلى أبي صالح. فهناد هو ابن السري بن مصعب الدارمي التميمي: ثقة من شيوخ البخاري ومسلم. انظر: حلاق، محمد صبحي بن حسن: رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً. ط: 1. بيروت: دار ابن حزم. 1999. ص273. وأبو معاوية هو محمد بن حازم ، أبو معاوية الضرير الكوفي. ثقة روى له الجماعة. انظر: ابن حجر، أحمد بن علي: تقريب التهذيب . 2 مج . حققه وعلّق: عليه عبد الوهاب عبد اللطيف . ط : 2 . بيروت : دار المعرفة . 1975 . ج 2 ص 157 . وإسماعيل بن خالد. من كبار التابعين، ثقة ثبت. انظر: ابن حجر: تقريب التهذيب. ج1 ص68. وأبو صالح هو مولى أم هانئ بنت أبي طالب. تابعي ثقة. انظر: حلاق: رجال تفسير الطبري. ص273 .
- 66 الزمخشري : الكشاف . ج 2 ص 14 .
- 67 القاسمي : محاسن التأويل . ج 10 ص 3880 .
- 68 رضا : تفسير القرآن الحكيم . ج 6 ص 387 .
- 69 السعدي : تيسير الكريم الرحمن . ج 1 ص 632 .
- 70 ابن كثير : تفسير القرآن العظيم . ج 4 ص 366 . وانظر : ابن منظور : لسان العرب . ج 8 ص 5 .

- 71 الجزائري، أبو بكر جابر: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. 4مج. ط: 2. جدّة: راسم للدعاية والإعلان. 1987. ج 2 ص 634.
- 72 القاسمي: **محاسن التأويل**. ج 10 ص 4024. وانظر: الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**. ص 27.
- 73 رضا: **تفسير القرآن الحكيم**. ج 6 ص 387.
- 74 سورة يوسف: الآية 85.
- 75 قسّم ابن القيم البكاء إلى أنواع عشرة، حيث قال: " والبكاء أنواع: أحدها: بكاء الرحمة والرأفة. والثاني: بكاء الخوف والخشية. والثالث: بكاء المحبة والشوق. والرابع: بكاء الفرح والسرور. والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلم وعدم احتماله. والسادس: بكاء الحزن. والفرق بينه وبين بكاء الخوف، أن بكاء الحزن يكون على ما مضى من حصول مكروه، أو فوات محبوب، وبكاء الخوف يكون لما يتوقع في المستقبل من ذلك، والفرق بين بكاء السرور والفرح، وبكاء الحزن، أن دمة السرور باردة، والقلب فرحان، ودمة الحزن حارة، والقلب حزين ولهذا يقال لما يفرح به: هو قرة عين، وأقرّ الله به عينه، ولما يحزن: هو سخينة العين، وأسّخ الله عينه به. والسابع: بكاء الخوف والضعف. والثامن: بكاء النفاق. والتاسع: بكاء المستعار والمستأجر عليه. والعاشر: بكاء الموافقة. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: **زاد المعاد في هدي خير العباد**. 6مج. حقق نصوصه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط. ط: 3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998. ج 1 ص 177-178.
- 76 قطب: **في ظلال القرآن**. ج 6 ص 3415.
- 77 راجح، د. أحمد عزت: **أصول علم النفس**. ط: 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث للنشر والتوزيع. 1982م. ص 154.
- 78 القاسمي: **محاسن التأويل**. ج 4 ص 988.
- 79 رضا: **تفسير القرآن الحكيم**. ج 4 ص 146-145.
- 80 الرازي: **مفاتيح الغيب**. ج 18 ص 107-106.
- 81 سبق تحقيق الرواية.
- 82 البخاري: **صحيح البخاري**. كتاب الجنائز. باب قول النبي ﷺ: "إنا بك لمحزونون" رقم الحديث (1303). ج 1 ص 250.

قائمة المراجع

1. ابن تيمية، أبو العباس أحمد: **أمراض القلوب وشفائها**، القاهرة، المطبعة السلفية، 1399هـ.
2. ابن القيم، محمد بن أبي بكر الزرعي: **زاد المعاد في هدي خير العباد**. 6مج. حقق نصوصه: شعيب الأرنؤوط و عبد القادر الأرنؤوط. ط: 3. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998.
3. ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. 13مج. ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. قام بإخراجه محب الدين الخطيب. بلا طبعة. بيروت، دار المعرفة. بلا تاريخ.

4. ابن حجر، أحمد بن علي: **تقريب التهذيب** . 2 مج . حققه وعلّق: عليه عبد الوهاب عبد اللطيف . ط : 2 . بيروت : دار المعرفة . 1975.
5. ابن عاشور، محمد الطاهر: **التحرير والتنوير** . 12مج. بلا طبعة. تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع. بلا تاريخ.
6. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس: **معجم مقاييس اللغة**. 6مج. تحقيق: عبد السلام هارون. ط:2. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
7. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم** . 7مج. ط :2. بيروت : دار الفكر.
8. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**. بلا طبعة. بيروت: دار صادر. بلا تاريخ.
9. أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى: **زهرة التفاسير**، دار الفكر العربي.
10. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي: **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. 6مج. وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن. ط:1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999م.
11. أبو حيّان، محمد بن يوسف: **البحر المحييط**. تحقيق: عادل عبد الموجود. ط:1، بيروت: دار الكتب العلمية.
12. الألوسي، شهاب الدين السيد محمود: **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، 15مج، بلا طبعة. بيروت: دار إحياء التراث العربي. بلا تاريخ .
13. البخاري، محمد بن إسماعيل: **الجامع الصحيح المسند (صحيح البخاري)**. 3مج. بتبويب وترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي. ط:1. القاهرة: مكتبة الصفا. 2003.
14. البستاني، بطرس: **قطر المحيط**. 2مج. بلا طبعة. بيروت : مكتبة لبنان . بلا تاريخ .
15. البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر: **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**. 8مج . تحقيق: عبد الرزاق المهدي . ط:1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1995.
16. الجزائري، أبو بكر جابر: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**. 4مج. ط: 2. جدّة: راسم للدعاية والإعلان. 1987. ج 2 ص 634.
17. الجمل، سليمان بن عمر العجلي: **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر . بلا تاريخ .
18. الجوهري، إسماعيل بن حماد: **الصاحح تاج اللغة وصحاح العربية**. 7مج. تحقيق: أحمد عبد الغفار عطار. ط:2. بيروت: دار العلم للملايين. 1979.
19. حجازي، محمد محمود: **التفسير الواضح**. 3مج. ط: 6. القاهرة: مطبعة الاستقلال الكبرى. 1969.
20. حلاق، محمد صبحي بن حسن: **رجال تفسير الطبري جرحاً وتعديلاً**. ط: 1. بيروت: دار ابن حزم. 1999.
21. الخطيب، عبد الكريم: **التفسير القرآني للقرآن**. 15مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.
22. راجح، أحمد عزت: **أصول علم النفس**. ط: 10. الإسكندرية: المكتب المصري الحديث. 1982م.
23. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: **مفاتيح الغيب**. 16مج. ط:1. بيروت: دار الفكر. 1981.
24. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر: **مختار الصحاح**. ط:1. بيروت. دار الكتاب العربي. 1979.

25. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: **المفردات في غريب القرآن**. راجعه: وائل أحمد عبد الرحمن. بلا طبعة . القاهرة: المكتبة التوفيقية. بلا تاريخ.
26. رضا، محمد رشيد: **تفسير القرآن الحكيم**. 12مج. ط:2. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ .
27. الزبيدي، محمد مرتضى: **تاج العروس**. 10مج. ط: 1. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1306 هـ .
28. الزحيلي، وهبه: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**. 15مج. ط:1. بيروت: دار الفكر المعاصر. 1998.
29. الزر كلي، خير الدين: **الأعلام** . 8مج . ط :6. بيروت : دار العلم للملايين . 1984.
30. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر: **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**. 4مج. حققه: محمد الصادق قمحاوي. بلا طبعة. القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده. 1972.
31. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**. 2مج. ط:1. فلسطين: مطبعة النور. 1997.
32. الشوكاني، محمد بن علي: **فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير**. 5مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.
33. الطبرسي، الفضل بن الحسن: **مجمع البيان في تفسير القرآن**. 6مج. بلا طبعة. بيروت: دار مكتبة الحياة. 1961.
34. الطبري، محمد بن جرير: **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. 10مج. تحقيق: أحمد البكري وآخرين. ط:2. القاهرة. دار السلام للطباعة والنشر. 2007
35. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**. 4مج. بلا طبعة. بيروت: دار الجيل. بلا تاريخ.
36. القاسمي، محمد جمال الدين: **محاسن التأويل**. 10مج . رقمه وخزج أحاديثه : محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية. بلا تاريخ.
37. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد: **الجامع لأحكام القرآن**. 22مج. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر. بلا تاريخ.
38. القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك: **لطائف الإشارات**. 3مج . علق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن . ط : 1 . بيروت : دار الكتب العلمية . 2000 .
39. قطب، سيد: **في ظلال القرآن**. 6مج . ط:17 . بيروت ، القاهرة: دار الشروق 1992.
40. مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري: **صحيح مسلم**. 5مج. رقمه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي. بلا طبعة. بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع. طبعة 1983.
41. مغنية، محمد جواد: **التفسير الكاشف**. ط :2. بيروت : دار العلم لملايين . 1980.
42. مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان "الاكتئاب". <http://ar.wikipedia.org/wiki>
43. مقال على الانترنت غير مذكور اسم كاتبه، بعنوان: "الكآبة... مرض العصر".

http://www.albawaba.com/ar/health,Mental_

Wellbeing/270990

44. مقال على الانترنت للكاتب محمد عبدالعليم ، بعنوان : "لماذا يأتي على بعض الناس أحوال يحبون فيها الحزن؟". <http://www.islamweb.net/ver2/istisharat/details2.php?reqid=274294>
45. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: معارج التفكير ودقائق التدبّر. 15مج. ط:1. دمشق: دار القلم، 2002م.
46. النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد: مدارك التنزيل وحقائق التأويل. 2مج. بلا طبعة. بيروت: دار المعرفة. بلا تاريخ.
47. نوفل، أحمد: سورة يوسف دراسة تحليلية. ط: 1. عمان: دار الفرقان للنشر والتوزيع. 1989.